اضطر الى العمل

بعد زيارتها لنا حين كان ياسر عرفات محاصرا في طرابلس عادت الى بلدها ولـم تزرنا بعدها.. كان الإجتياح الإسرائيلي للبنان قبل عام يملأ قلب عفيف غضبا ومـرارة فكانت مقالاته اللاهبة اليومية التي ينقلها له أحد الأصدقاء عونا لياسر عرفات وللمقاومـة الفلسطينية أن تصمد في بيروت شهرين ونصف ببطولة منقطعة النظير، والتي ظهـرت فيما بعد في كتاب "وقائع الحرب اللبنانية". كان الثمن باهظا بالنسبة للمقاومـة وللـشعب اللبناني، وجاءت بعدها مذبحة صبرا وشاتيلا لتكمل الصورة الحزينة للشعب الفلـسطيني الذي لجأ الى لبنان بعد طرده من أرض أجداده..

انقطعت أخبار فولكمار أيضا فلا ندري ما فعل الله به حتى كان يوم تلفن الى سلام وهي في لندن وقال بأنه ينوي زيارتها.. وزارها بالفعل وأخبرها أن أمه قطعـت عنـه المعونة فاضطر الى العمل، وما استطاع النجاح في الإمتحان الأخير، لأنه يسأل فيه عن كل دراسته السابقة، والمنهج يتغير من عام لعام وتضاف له كتب جديدة.. ولا وقت لديـه لدراستها، يضاف الى هذا أنه لايسمح للطالب أن يرسب في أي موضوع..

كان فولكمار يعيش في برلين وأمه في شتوتغرت، وكان التواصل بينهمـا منقطعـا فترة طويلة حتى سمع بأن أمه مصابة بالسرطان وفقدت عملهـا، فعـاد الـى زيارتهـا ومراسلتها، وأخبر سلام أنها لا تفتأ تقول له "أنت مثل والدك، تتبع قضية خاسرة وتـدافع عنها، ولهذا لن يكتب لك النجاح أبدا!"..

زار سلام مرة أخرى وقال لها "أريد أن أزور والدي، ولكنني لا أملك المال، فعملي لا يكاد يفي بحاجاتي الضرورية من سكن وطعام.."

هذا ما أخبرتنا به سلام حين زارتنا في المرة التي سبقت وفاة والدها.. كانـت قـد حصلت على الدكتوراة وجاءت لتمضي عيد رأس السنة معنا.. في ذلك الشهر بدأ يكتـب مذكراته مستجيبا لإلحاح أصدقائه عليه ولكن لم يمهله الله ليستكمل تلك المذكرات.. لقـد وافته المنية إثر سكتة دماغية في 28 كانون ثاني من عام 94 وكانت وفاتـه فـي 15 شعبان، وأربعينه في ليلة القدر من رمضان..

كانت الصدمة قاسية علي.. لقد خطف خطفا من أيدينا بين ليلة وضحاها..

عندما دخلت الغرفة وهو مسجى معدّ لرحلة السماء قال لي الشيخ الـذي سـمح لـي بوداعه الوداع الأخير "اغفري له ذنوبه وادع له!" قلت منفعلة "أنا أغفر له! ليغفـر هـو ذنوبنا في حقه.. والله كان أكرم الرجال وأسخاهم عطاء لأسرته وأمته والإنسانية جمعاء، ولم يطلب لنفسه شيئا أبدا، أبدا.. قرأت له الفاتحة وطلبت منه الغفران للـذين آذوه فـي حياته وعطلوا نضاله وأجهضوا آماله في الوحدة الكبرى للأمة العربيـة دون أن تكـون تحت مظلة أي من المستعمرين، وحرموه ثمرة كفاحه ولقمة عيشه فمات منفطـر القلـب لمصير أمته وذلها واستسلامها!..

ان التاريخ وحده هو الذي ينصف الرجال، وعندما يخفت ضجيج الدجل والنفـاق، سيأتي من يقيّم هذا الرجل ومواقفه وتراثه التقييم الصحيح، ويضعه في مكانه اللائق بـه في أفئدة الناس وذاكرة الزمن..

* * *